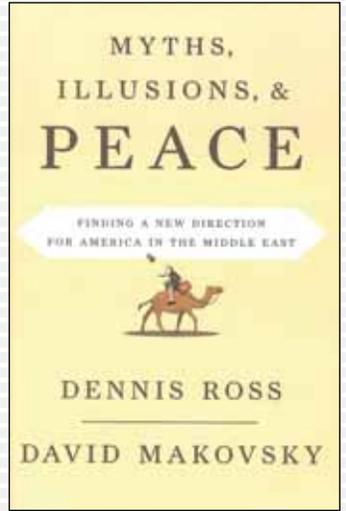


فشل المحافظون الجدد والواقعيون في التعاطي مع الشرق الأوسط نجاح أمريكا مشروط بسياسات مستمدة من الواقع

الكتاب: الأساطير والأوهام والسلام: العثور على وجهة جديدة لأمريكا في الشرق الأوسط
المؤلفان: دينيس روس وديفيد ماكوفسكي
الناشر: مطابع فيكينغ، لندن والولايات المتحدة (يونيو 2009)

من كانت له خبرة دينيس روس في ميدان المحاولات التي تكاد لا تنتهي للتوصل إلى تسوية لقضية الشرق الأوسط، هو جدير باهتمام القارئ العربي عموماً، فكيف إذا ضم صوته إلى صحفيي ومحلل إسرائيليين طويل الباع في المشهد السياسي في بلاده وفي أمريكا؟ هنا قراءة لثمره التعاون بين اثنين من العارفين جيداً كواليس السياسة الأمريكية والإسرائيلية حيال الشرق الأوسط.

علاء بيومي *



وهو روس، الذي قال الرئيس باراك أوباما خلال حملته الانتخابية الرئاسية أنه يتلقى «النصائح الخاصة بالشرق الأوسط» منه. أما السبب الثاني لاعتبار الكتاب مهماً فهو حجم الجهد البحثي الذي أنفقه المؤلفان في إعداده، إذ لا تكاد صفحة من صفحاته - خاصة في فصوله الأولى - تخلو من حجة مثيرة حول فهم الأمريكيين لعملية السلام. بالتالي لا يجد القارئ نفسه أمام مجرد عمل أكاديمي نظري أو مؤلف سياسي عام، بل بين يديه في الحقيقة ثمرة دراسة كبيرة ومعقدة قام بها المؤلفان لوضع كتاب يضم رؤيتهما لما ينبغي أن تكون عليه وجهة السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط أو بوصلتها خلال عهد الإدارة الحالية. وثمة سبب آخر لتصنيفه في خانة الكتب المهمة، هو أنه وضع بعناية خلال فترة زمنية حديثة لكي يرد على أهم الأفكار التي طرحت في واشنطن منذ عام 2006 بخصوص السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط. لذا لا يعود المؤلفان إلى الماضي أو التاريخ إلا للرد على أفكار جديدة شائعة حالياً في واشنطن؛ فهدفهما - كما يظهر عبر فصول الكتاب الثلاثة عشر، الممتدة على أكثر من 320 صفحة - هو تنفيذ التيارات السياسية والفكرية الكبرى التي سيطرت على واشنطن خلال السنوات الأخيرة من عهد الإدارة السابقة، وهي فترة سادها شعور بفشل سياسات بوش في الشرق الأوسط وبالحاجة إلى البحث عن بوصلة جديدة لهذه السياسات.

تياران أساسيان

فالكتاب يكاد يحصر التوجهات السياسية الأمريكية بخصوص الشرق الأوسط في تيارين رئيسيين، وهما تيار الواقعيين وتيار المحافظين الجدد. والمقصود هنا بـ «الواقعيين» هو تلك الفئة التي صعدت بقوة في واشنطن منذ صدور تقرير مجموعة دراسة العراق (أعلنت توصياتها

كتاب مهم لأسباب مختلفة يستحق القراءة والتعليق والرد من قبل الباحثين والسياسيين المعنيين بالسياسة الخارجية الأمريكية تجاه الشرق الأوسط. فهو بداية من تأليف دينيس روس مفاوضات السلام الأمريكي في إدارتي جورج بوش الأب وبيل كلينتون وأحد أهم الدبلوماسيين الأمريكيين الذين ارتبطت أسماؤهم بمفاوضات السلام العربية-الإسرائيلية منذ «مؤتمر مدريد». وهو حالياً مساعد خاص للرئيس الأمريكي، باراك أوباما، للسياسات الخارجية تجاه المنطقة الوسطى، التي تشمل الشرق الأوسط والخليج وأفغانستان وباكستان وجنوب آسيا. وهو من منصب تولاه روس منذ يونيو/حزيران الماضي بعدما عين أولاً في فبراير/ شباط مستشاراً خاصاً لوزيرة الخارجية الأمريكية، هيلاري كلينتون، لشؤون إيران وجنوب شرق آسيا، الأمر الذي لقي معارضة شديدة من جانب إيران وراجت بخصوصه شائعات مختلفة تفيد بعدم رضا بعض المسؤولين الأمريكيين أنفسهم عن تعيينه في ذلك المنصب. لذا جاء اختياره للعمل مساعداً خاصاً للرئيس في «مجلس الأمن القومي» في يونيو الماضي كمفاجأة نسبية انقسم حولها المتابعون، فبعضهم اعتبرها ترقية وآخرون رأوها خطوة إلى الوراء.

أما المؤلف المشارك ماكوفسكي فهو المراسل السابق بصحيفة «هآرتس» الإسرائيلية والمحرر التنفيذي السابق لجريدة «جيروزايم بوست» الإسرائيلية، ويعمل حالياً باحثاً في «برنامج دراسة عملية السلام بالشرق الأوسط» ومديراً له، في «معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى»، الذي يعرف بأنه أحد أهم مراكز الأبحاث الأمريكية المعبرة عن مواقف «اللوبي الإسرائيلي».

إذا نحن أمام مؤلفين يتمتعان بثقل بحثي كبير داخل «اللوبي الإسرائيلي» في واشنطن بصفة خاصة، وضمن الدوائر البحثية هناك بصفة عامة، هذا بالإضافة إلى النفوذ السياسي الذي يتمتع به أحد مؤلفي الكتاب - على الأقل -

في ديسمبر/ كانون الأول 2006). وتزامنت توصيات المجموعة مع جدل مضطرب بخصوص دور اللوبي الإسرائيلي في دفع أمريكا إلى حرب العراق والمواجهة مع نظم الشرق الأوسط وعزل بعضها. يُشار إلى أن الجدل بشأن النفوذ الذي يتمتع به أنصار إسرائيل ارتبط أيضاً بدراسة عن الموضوع أعدها ستيفن والت وجون مرشيمر، وصدرت أولاً كبحث صغير في عام 2006 ثم في كتاب مفصل في العام التالي.

وفي الحقيقة يعطي روس وماكوفسكي أهمية كبرى لكتاب والت وميرشيمر إلى درجة يشعر معها الفارئ أحياناً بأن جزءاً كبيراً من دوافعها لوضع المؤلف الحالي يعود إلى الرغبة في الرد على كتاب اللوبي الإسرائيلي المذكور آنفاً، وهذا أمر يبرز بوضوح في الفصل الحادي عشر المعنون «التحالف الأمريكي-الإسرائيلي»، الذي يخصّص المؤلفان لنقض أفكار والت وميرشيمر حول تراجع أهمية إسرائيل الاستراتيجية بالنسبة إلى أمريكا.

ويعود روس وماكوفسكي أحياناً إلى الماضي للبحث عن جذور فكر الواقعيين الذي يبدو لهما على صلة بأفكار من يعرفون باسم «مستعربو الخارجية الأمريكية». وهؤلاء المستعربون هم مجموعة من الدبلوماسيين المتعاطفين نسبياً مع المطالب العربية خلال فترات زمنية مختلفة، ممن طالبوا بالفصل النسبي بين مصالح أمريكا وإسرائيل في المنطقة وبالضغط على الأخيرة إذا تطلّب الأمر، وهذه تكاد تكون الأهداف نفسها التي يدعو إليها والت وميرشيمر.

وإلى جانب هؤلاء المستعربين، يضمّ تيار الواقعيين، حسب روس وماكوفسكي، سياسيين أمريكيين مختلفين تبوّأوا الأفكار نفسها التي يجمعها رابط واحد هو الرغبة في اتباع طرق أكثر دبلوماسية نحو بلدان الشرق الأوسط والاستعداد لنقد إسرائيل والضغط عليها، والانفتاح على الحركات المعارضة للولايات المتحدة في الشرق الأوسط.

وينتقد الكتاب أيضاً تيار المحافظين الجدد الذين سيطروا على الولاية الأولى لجورج بوش الابن، الأمر الذي يبرز هوية المؤلّفين اللذين يسعيان إلى تقديم نفسيهما كبديل ليبرالي ينتمي إلى عهد الرئيس أوباما وينأى بنفسه عن المحافظين الجدد كما يرفض الواقعيين.

أما أسباب رفض المحافظين الجدد فهي كثيرة للغاية. ولا يتردد روس وماكوفسكي في توجيه النقد إلى هذا التيار أو إلى سياسات بوش التي تبدو لهما مترددة تتمّ عن قصر النظر وعدم الوضوح وافتقاد الرؤية والعجز عن التنبؤ بتبعات مواقفها. ففي الفصل الثاني عشر -الذي يتحدث عن قضية نشر الديمقراطية في الشرق الأوسط- يلقي روس وماكوفسكي باللوم على إدارة بوش ووزير خارجيته، آنذاك، كوندوليزا رايس، بسبب السماح باشتراك «حماس» في الانتخابات النيابية الفلسطينية. فهذه المشاركة التي أدت إلى فوز «حماس» تمثل من وجهة نظر المؤلفين انتهاكاً واضحاً لاتفاقات أوسلو، وفرضت بالتالي سياسات لعزل «حماس» مما بدا كما لو كان عقاباً للفلسطينيين على انتخاب «حماس» بعد الانتخابات وأدى أيضاً إلى إضعاف «فتح» والسلطة الفلسطينية.

كما يرى المؤلفان أن مشكلة المحافظين الجدد الرئيسية تكمن في أنهم لا يثقون كثيراً بالعرب وفي اعتقادهم أن العرب لا يرغبون في السلام ولا يقبلون وجود إسرائيل. وهذه أفكار قادت المحافظين الجدد إلى المواجهة ورفض الدبلوماسية والسعي إلى عزل الأنظمة والجماعات المعارضة، كما جعلتهم عاجزين عن مواجهة بعض تلك الأنظمة مثل إيران التي حاولوا عزلها ولكنهم فشلوا في الضغط عليها

بسبب برنامجها النووي وبسبب غزو أمريكا العراق وإطاحة نظام صدام حسين، الذي طالما احتوى النفوذ الإيراني في المنطقة، كما يقول المؤلفان.

دبلوماسية واقعية جديدة

يحاول المؤلفان صياغة الحجة الرئيسية لكتابهما، وهي المطالبة بسياسات دبلوماسية واقعية جديدة تقوم على قراءة واقع السياسات في الشرق الأوسط، وواقع الدول العربية وإسرائيل، وواقع العلاقات بين الأنظمة العربية وإسرائيل، كما يراها المؤلفان بالطبع.

فروس وماكوفسكي يعتقدان أن التيار الواقعي -الذي يمثلته كتاب والت وميرشيمر- حُدع كثيراً بالشعارات التي ترفعها النظم العربية ويرفعها معارضو واشنطن في المنطقة وتحاول استنزاف أمريكا والضغط عليها عاطفياً وسياسياً لتبني مواقف مساندة للعرب في صورتها الخارجية، ولكنها تقوّض فرص السلام الحقيقية.

فالواقعيون ينطلقون من نظرتهم الشخصية إلى المنطقة، ومن أفكارهم المثالية عنها، التي تطالب أمريكا بالتركيز على مصالحها، خاصة النفط، وبوضع مسافة بين سياساتها وبين دول المنطقة، وبالتعامل مع الأنظمة القائمة ورفض سياسات نشر الديمقراطية من منطلق التعامل مع الوضع القائم.

لذا يرى المؤلفان أن الواقعيين لا يختلفون كثيراً عن المحافظين الجدد في كونهم ينطلقون من مواقفهم الأيديولوجية لا من واقع المنطقة، فالمحافظون الجدد أيضاً ينطلقون من إيمانهم القوي برفض العرب إسرائيل وبيغاب فرص السلام. في المقابل يطالب روس وماكوفسكي بالتركيز على السياق وعلى الواقع داخل المنطقة وفي كل واحدة من دولها.

عملية السلام

يقوم الواقع في رأي المؤلفين على ما يلي:

أولاً: أن الصراع العربي-الإسرائيلي هو قضية رأي عام، عاطفية وسيكولوجية تستخدمها النظم العربية للضغط على أمريكا وابتزازها عاطفياً وسياسياً من أجل إجبارها على تقديم مزيد من التنازلات. ولكن حروب النظم العربية مع إسرائيل قد انتهت، كما أن حروب إسرائيل الأخيرة مع «حزب الله» و«حماس» لم تؤدّ إلى سقوط أي نظام عربي أو إلى قطع النفط العربي عن واشنطن.

ثانياً: وهذا لا يعني مطالبة أمريكا بعدم مساندة جهود السلام في المنطقة. على العكس يطالب روس وماكوفسكي إدارة أوباما بالعمل على دفع عجلة السلام ليس لأن تحقيقه بين الفلسطينيين والإسرائيليين يعني نهاية مشكلات أمريكا في المنطقة أو قبول العرب إسرائيل أو نهاية العداء بين الطرفين، ولكن لأن السلام هو في مصلحة أمريكا باعتباره يساعد على استقرار المنطقة من ناحية ويعزز التعاون بين الأنظمة العربية وإسرائيل ضد أعدائهم المشتركين من ناحية أخرى. ولأن السلام سيحرم إيران وسوريا و«حزب الله» و«حماس» من مصدر مهمّ من مصادر تأليب الرأي العام العربي ضد أمريكا وإسرائيل، فإن التوصل إلى سلام سيساعد على علاج الجانبين النفسي والسيكولوجي من الصراع، وهو أهم جوانبه، من وجهة نظر المؤلفين.

ثالثاً: تحقيق السلام في الشرق الأوسط لن يتحقق بالضغط على إسرائيل أو بالفصل بين أمريكا وإسرائيل، فالقرب بين أمريكا وإسرائيل ضروري لتحقيق السلام، فهو يعني بالنسبة إلى العرب أن أمريكا ودية لأصدقائها، وأنّ عصر الحرب انتهى لأن

النووي إذا فشل العالم في التفاوض معها. ويقترح إجراء مفاوضات سرية مباشرة مع قادة النظام الإيراني، وعلى رأسهم مرشد الثورة الإسلامية علي خامنئي، وذلك بهدف الوصول إلى نتيجة سريعة وحاسمة من شأنها أن توضح موقف إيران الحقيقي أمام العالم وتساعد على بناء تحالف دولي ضدها في حالة رفضتنا التنازل سلمياً.

□

* كاتب وصحافي مهتم بالشأن الأمريكي

أمريكا تدعم إسرائيل، وهو ما أدركه السادات منذ حرب أكتوبر 1973، وأن أمريكا هي الطرف الدولي الوحيد القادر على قيادة مفاوضات السلام. كما أن أمريكا ليست في حاجة إلى الضغط على إسرائيل لأن الأنظمة العربية تقدّر دور إسرائيل في مواجهة «حماس» و«حزب الله» وإيران والجماعات الراديكالية في المنطقة، ومن دون ذلك الدور ستقوى تلك الجماعات وتهدد النظم العربية. والأدلة على ذلك كثيرة - كما يرى المؤلفان - فالعرب صمتوا على قصف إسرائيل لما تقول إنه مفاعل نووي سوري، كما انتقدت السعودية «حزب الله» على مغامرة حرب إسرائيل الأحادية في عام 2006، وأكد الرئيس المصري حسني مبارك رفضه جرّ بلده إلى حرب مع إسرائيل، مشدداً على أن عصر الحروب العربية مع إسرائيل انتهى.

كما يبدو للمؤلفين أن العرب معنيون بالسلاح النووي الإيراني أكثر من قلقهم من سلاح إسرائيل النووي. وسبب ذلك في رأيهما هو أن الأخيرة تستخدم ترسانتها كعنصر ضامن لحماية وجودها، فيما تريد إيران السلاح النووي لإحداث خلل في التوازن الاستراتيجي في المنطقة ولدعم الجماعات المساندة لها في الشرق الأوسط. رابعاً: يتحقق السلام بين الفلسطينيين وإسرائيل من خلال الحديث مع إسرائيل أولاً قبل العرب والانطلاق مما يمكن أن تقدمه. فالأنظمة العربية - كما يرى روس وماكوفسكي في الفصل الخامس من كتابهما - فاقدة «الشرعية الأساسية»، وعاجزة عن تقديم أي تنازلات جادة أمام إسرائيل خوفاً من تأليب الرأي العام الداخلي عليها. لذا يجب أن يبدأ المفاوضات الأمريكي من فهم احتياجات إسرائيل الأمنية ومطالبها واتخاذ هذا كله أساساً للتفاوض مع العرب لاحقاً.

أما معادلة التفاوض نفسها (موضوع الفصل السادس)، فهي تقوم على رفض أمريكا إطلاق أي وعود كبرى للطرفين، والعمل مع الإسرائيليين والفلسطينيين على تحقيق إنجازات على الأرض، خاصة في المجال الاقتصادي من خلال تشجيع الدول العربية على الاستثمار في الضفة الغربية، خاصة في القطاعات الرائدة كقطاع العقارات. كما يجب أن تقوم المفاوضات على أساس شامل يتضمن تحرك العرب للتطبيع مع إسرائيل لقاء تحسين تل أبيب ظروف معيشة الفلسطينيين أو الحد من التوسع الاستيطاني. ويقول المؤلفان إن تحقيق السلام في عهد إدارة أوباما ليس عملية سهلة، خاصة في ظل ضعف القيادات، وفي ظل استحقاقات انتخابية على الطرفين قد تغير القيادات الفلسطينية والإسرائيلية.

إيران

خامساً: يطالب الكتاب بانفتاح دبلوماسي على إيران. فتجنّب المفاوضات المباشرة مع طهران يبدو في نظر المؤلفين سلوكاً يفتقر إلى المعنى. كما يعتبر أن اتباع السبل الدبلوماسية مع النظام الإيراني ضروري لحشد الدعم ضده في حالة رفضه الانصياع معها.

ويرى المؤلفان أن على الولايات المتحدة الدخول في مفاوضات شاملة مع إيران تتخطى سياستها النووية إلى الحديث عن تغيير سلوكها في المنطقة بما في ذلك التوقف عن دعم جماعات مثل «حزب الله» وإيران، وأن تتسلح أمريكا دائماً بـ«عصا وجزرة». أما العصا أو العقوبات فيجب أن تركز على الاقتصاد الإيراني، وهو نقطة ضعف النظام الإيراني، كما يرى المؤلفان. ويوصيان بأن تضع أمريكا سقفاً زمنياً للمفاوضات وألا تستبعد الخيار العسكري.

ويوصي الكتاب بأن تتحرك السعودية وإسرائيل مع أمريكا لبناء تحالف دولي ضد إيران، وأن تغري السعودية روسيا والصين بالمال كي تتباعد عن إيران. ويعتقد المؤلفان أن على إسرائيل التهديد باستخدام القوة العسكرية ضد برنامج إيران

على عاداتها، ووجهت «آفاق المستقبل» أسئلة إلى المؤلف بغرض إعطائه فرصة الدفاع عن بعض وجهات نظره التي أخضعها المراجعة للنقد، أو لتقديم المزيد من الشرح والتبرير لبعض المعلومات التي أوردتها. هنا إجابات أحد المؤلفين، ديفيد ماكوفسكي، عن أسئلة أرسلتها إليه «آفاق المستقبل» بالبريد الإلكتروني.

ما التيار الفكري أو المدرسة النظرية المهيمنة على السياسة

الخارجية الأمريكية في ظل الإدارة الحالية؟

أعتقد أنه خليط من الواقعيين والتقليديين والمعنيين بحقوق الإنسان وتيارات أخرى، فهناك ممثلين لتيارات مختلفة داخل إدارة أوباما، لا يضمون المحافظين الجدد. عمر الإدارة لا يزيد على عام واحد، وقد تتضح الأمور أكثر فيما بعد.

هل ستكون هناك «مواجهة» بين الإدارة الأمريكية وحكومة

رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو بخصوص وقف بناء

المستوطنات؟

كان هناك صدام في الأشهر الستة الأولى من عمر الإدارة، والسبب كان رفع سقف التوقعات، وقد حذرنا في الكتاب من ذلك. وقد انتهى الأمر بإحراج أبو مازن ونتنياهو، لأننا رفعنا سقف التوقعات عالياً، وكان الأفضل أن نعد فقط بـ 50%.

من هو بالضبط المسؤول عن هذا الخطأ داخل إدارة أوباما؟

الجميع يريد أن يعرف الإجابة عن هذا السؤال، وأنا لا أعرفها.

كيف تعرف الإصلاحيين العرب؟ وهل ينبغي لهؤلاء أن يساندوا

إسرائيل؟

بالطبع لا، هذا ليس شرطاً. المهم أن يكونوا مؤمنين بضرورة تحقيق الديمقراطية داخل بلدانهم، وكل بلد يمثل حالة خاصة. والمهم أيضاً هو الاقتناع بتحقيق ذلك بالتدرج لأن السرعة ستؤدي إلى صعود الإسلاميين لأنهم يمتلكون شبكات (دعم) توفرها المساجد والمؤسسات الدينية فيما لا يمتلك الليبراليون شبكات مماثلة.

هل تعتقد أن «حماس» تعارض إسرائيل بسبب الحريات

والقيم التي تتمتع بها الأخيرة؟

«حماس» تعارض إسرائيل لأنها ترفض فكرة قيام دولة غير مسلمة في الشرق الأوسط، ونحن حاولنا تقديم نهج آخر. نحن نقول إن هناك عرباً يساندون أمريكا وهناك أنظمة عربية تريد أن تعمل مع أمريكا وأنه ينبغي لنا العمل معهم.